الملاك الاول

خطاب الانسة جوليا طعمه القته في حفلة جمعية تهذيب الفتاة السورية في بيروت

سبقت والقيت خطاباً موضوعه « السماء الاولى » . ما عنيت حينئذ بالسماء الاولى ديار الابدية — جنان الخلود — مسكن الابرار بعد الموت . ولا عنيت بها هذا الجلد البديع الذي رصعته يد مبدع الاكوان بالكواكب والسيارات ولا وصفت بها قصراً ملكياً او صرحاً خيالياً بل عنيت بها (البيت) البيت الذي هو مقرّ هنا، الرجل والمرأة ومستوطن سعادة البنين والبنات — مستظل المراة ومملكة الام — ومراح الرجل ومتنزة الاب ومرتع هناء الاولاد ومسرح مسراتهم

وبما انه كلما تذكر السماوات يتبادر الى الذهن ذكر الملائكة معها حتى اصبح الاسمان كالمترادفين كل ملازم للاخر لا سماء بلا ملائكة ولا ملائكة بدون سماء فارتأيت انا اذ ذاك ان لا اترك سمائي الاولى بدون ملائكة ترفرف فيها وتحوم حول سكانها الا ان هذه الملائكة ليست اجساماً ذوات اجنحة — ولا هي جميلة ظاهرة — لا ليس الملاك الاول شيئاً من كل هذا انما هو يا سادتي متجسم في فضيلة تجمل المصائب سعادة والظلام نوراً باهراً . متجسم في فضيلة تعزّي الارواح المثقلة باتعاب ونكبات هذه الحياة وترفعها من على هذه الارض الى العلويات

ملاكي في هذه الليلة اراه متجسماً في حلة ارجوان تصور لكم كما صوّرت لي مراراً الابدية وسعادتها . الا وهي « البشاشة » القوة التي تزيد الجسم صحة والعمر طولاً والحياة سعادة

ولما كان قد عهد اليك ايتها المرأة بتهذيب النفس والبحث عن الاديبات . لما كان قد عهد اليك بتقويم انفس الصغار ودلهم على الطرق القويمة الموصلة الى ار الخلود بينما يكون زوجك مهموكاً في التجارة والصناعة يخوض عباب البحار في طلب الرزق فقد رايت ان اوجه كلامي اليك وادلك على مرآة تنعكس منها صورة البشاشة ومعانيها وتتجلى لك تلك الهيئة المقدسة فتستنيرين بنورها الحقيقي . وهي

الوجه الطلق

هو السراج الذي تستضيء به القلوب وترتاح اليه الارواح هو الذي يستمطر سحب الانس فينفي الهموم ويجلو الاكدار . تفنين حياتك يا سيدتي في ايجاد ما يجملك ويحسن

هيئتك و يقربك ممن يهمك امرهم . فتتورد خدودك وتبيض بشرتك و يتهلل خصرك ويزداد تفتنك في اللباس والزي ومع هذا فلا تزدادين الا بعداً عن زوجك وذوي قرباك ولماذا . لانك صرفت اهتمامك بالقشور دون اللباب و كثيرة ما هي هذه القشور فتملأ حياتك بالهم والاهتمام فتعمي ابصارك عن الحقيقة فيتقطب جبينك و يغادرك القنوط ويراوحك و يخاطبك الناس و يصافحك فتثقل اذ ذاك طلعتك و يصير وجهك كأنه ايام المصائب وليالي النوائب . فيتجنبك القريب والنسيب و يبعد عن مجالستك الصديق والحبيب ولا عجب فان مجالسة غير البشوش تثير الهموم وتجلب الغموم وتؤلم القلب وتطوي الانبساط فليكن وجهك بشوشاً فتقبلك القلوب وتسرّ بك العيون . وتتهافت الناس الى الى مجالستك ايما تهافت حاسبين ان الجنة نفسها هي مجتناة من قربك

ان المرأة ذات الوجه الطلق والقلب الواسع هي في الحقيقة ملكة حيث حلت . لها قوة على اعظم النوائب فترفعها عن زوجها واخيها بسالة غريبة سادة سيل الحوف والتعاسة منتصرة على القوى الطبيعية بقوة البشاشة المستمدة من قوة الالوهية

فسلام على من كان نصيبه وجهاً بشوشاً — سلام له وسلام عليه فان تأثيره في الناس كتأثير الشمس المشرقة على الغابات والرياض يقوي الضعيف و يشجع اليائس . فاذا تصبحت به يوماً فكأنك اكتسبت منه نشاطاً يثوب على اتعاب ذلك اليوم — واذا تسنى لك وصافحته هز يدك هزة مخلصة تولد فيك ارتجاجاً يقوي اعصابك واذا سمح لك الوقت وكلمته انتعشت بنغمة صوته وتجددت فيك قوى تلقى بها اعمال نهارك باللذة والهناء مهما كانت ثقيلة .

سلام على المحيا الطلق وسلام له لانه يرسل شعاعاً وسعادة من حيث لا يدري . وهو ليس بذلك الا كالازاهر التي تملأ في الطبيعة تعطر الهواء بأريجها وتبهج العيون بألوانها وهي لا تدري بتأثيرها بل تسير في نموها تمتص غذاءها من الهواء والارض كأنها لم تخلق الا لعملها هذا

طوبالك يا ذات الوجه البشاش فانك مصدر كل القوى المدنية والتمدن الحقيقي وطوبى لمن كان الابتهاج شعارهم والابتسام منارهم . لك لمثل هذا ايتها المرأة اقول

ابتسمي . ولماذا ؟

لانك انت المطالبة بالحنان على اغراس الانسانية . وهذه الاغراس كثيراً ما يعروها الذبول فتحتاج الى حرارة من قلبك كي تحييها . مصائب الدهر اكثر من نبات الارض . قال كاتب شهير ان هذا العالم ينشر الضباب والظلام على كثير من الناس وتسعة اعشار من

تلقي بهم يومياً يحتاجون الى ثغور باسمة كي تخفف عنهم و يلاتهم . فهل للثغر البسام فعل وتاثير عَلَى المصائب والاكدار . نعم . انه لضربة قاضية عليها . فابتسامة اخلاص خارجة من صميم قلب المرأة ونسمة سرور تهب من روحها تقدر ان ترفع الارواح الرازحة تحت عبء الحياة المثقلة الى الطبقات العلوية التي سمح للارواح ان تتنسمها وهي عَلَى هذه الارض .

ابتسامة اخلاص منك ايتها الاديبة تحوّل المصائب سعادة والظلام نوراً باهراً وهناك اذا اتى الابتسام من عينيك متألقاً من بين اجفانك فانه لا يعزّي الانسان فقط بل يصوّر له الابدية وسعادتها . او ليست عينك هي مرآة نفسك . يقولون كل ما يبديه الجميل جميل فاذا لو كانت النفس جميلة وبماذا نصف تأثيرها . ليس من الضروري ان تكوني جميلة ليكون لك ولابتساماتك تأثير . وقد سمعتك مراراً تقولين ان فلانة ليست جميلة بل هي مهضومة قريبة من القلب واخرى بديعة في الحسن ولكنها اثقل من الكابوس . فما هو سبب هذا التجاذب وعدمه يا تري ! ليس الا ان الاولى بشاشة بسامة قد كتب الله بيده عَلَى صفحة وجهها ابتسامات الاخلاص وعواطف الانس والثانية عارية من كل عاطفة شريفة تمثل زهرة بلا عطر وجمالاً بلا قوة . . البشاشة لا تمثل عَلَى فمك فقط بل عَلَى كل مقاطع وجهك فضعي وراءه سرّ الشعور بالشكر لله ومحبته للانسانية فيخرج من اجفانك نور يكسف نور الشمس و يدخل الحياة بمن حولك و يتدفق منك البشر والحبور وتقرأ المواعظ المفيدة في كل ملامحك وتصير كل بقعة من الارض تتأهل بك كما تتأهل بالشمس المشرقة . دخل معرض زهور في اوروبا ابنة و بيدها قطعة من الخزف فيها نبتة مزهرة و بعد الفحص اخذت جائزة الامتياز عَلَى كل النباتات التي من جنس نباتتها فسألها احد الفاحصين وكان قد عرفها سابقاً كيف تيسر لك تربية هذه الزهور و بيتك لا تدخله الشمس مطلقاً فاجابته يا سيدي لبيتنا كوّة صغيرة تدخل منها الشمس فكنت احمل هذه النبتة واتعرض بها لاشعة الشمس ولما كانت تغيب عن جهة بيتنا الذي هو عَلَى الشارع كنت احملها واقف بها خارجاً تابعة اشعة الشمس اينما ذهبت .

ماذا كان يحل بالذين يعيشون بين جدران الالم من عام الى عام — بابناء المصائب والنكبات — بابناء الغم والبلاء لولا وجود هؤلاء الاشخاص البشاشين الذين كأن الله لما خلقهم لم يخلق معهم لا حلماً ولا مراً . هؤلاء الذين يحملون معهم شعاع السرور اينما ذهبو الشعاع الذي هو شفقة عَلَى الفقير ورأفة بالبائس المسكين . وجه مثل هذا الشخص هو

ليس إلا (كيساموت) اي جواز المسافر يجيز له المرور في كل مكان . هو يفك قيود الحسد والحقد لانه يريد الخير لكل الناس

فالبشاشة ايتها المرأة . اخالك تقولين انه لامر هين على من كانت السعة تحيط به وكل وسائل الراحة متوفرة لديه ان يبتهج ويبتش بوجهه للجميع ولكن اؤكد لك ان في اغلب الاحيان ابتسامات مثل هذه الاشخاص تكون قاسية باردة لا حرارة فيها ولا معنى مخلاف من ألم وذاق من اصناف العذاب الواناً فان في ابتساماته وملامح وجهه مواعظ يعجز عن ادائها ابلغ الواعظين . فلا تحسبي اني بالتعريض على البشاشة احاول ان احملك على احتقار الخطوب وعدم المبالاة بها كلا ان الرزايا تجلوا النفوس وتمحصها فاذا حلت بك لا سمح الله مصيبة فلا تعرضي عنها بل تلقيها بايدٍ مفتوحة ولو كانت اتونًا من النار . ادرسي تلك المصيبة تتبعي اسبابها وتناليها بكل تصبر ومن ثم اجتني منها المثالة الذهبية فتزداد بي محبوبية وبشاشة . أفليس بالنار يكفون الذهب ويمحصونه ؟ قال ارسطو — ان المصاب يصير جميلاً اذا تلقاه المصاب بالابتهاج ليس بعدم الحس وجمود القلب بل بصدر رحب وجنان ثابت ونفس كبيرة

لماسئل كرسون الشهير عن حاله وهو في السجن في مدينة بوستن اجاب سائليه لماذا تبتسمون في وتندبون وحدتي فاني لست وحدي في هذا السجن المظلم بل معي رفيقان منعشان للغاية وهما الله بر الصالح والعقل الفرح .

فافرحوا وابتهجوا . ولماذا ؟

لان الابتهاج — قال احد الاطباء هو الدواء الموحى به من الله ويجب على كل انسان ان يستحم به يومياً . فالهم وضيق العيش والكآبة وكل الامور التي هي كصداء على الحياة يجب ان تدهن بزيت الابتهاج

قام طبيب في مدينة نيويورك ولم يكن يعرف الا بالدكتور الضحوك وقد ذاعت شهرة هذا الطبيب واعتقد بها رتها الوف من الناس وهو لم يكن يصف الدواء الا نادراً . قالت اللانسة وهي اهم مجلة صحية في العالم « ان قوة الابتهاج هي ذات اهمية كبرى للمريض والضعيف تشفي الاول في بعض الامراض وتساعد الثاني على مقاومة المرض والتمتع بحياة طويلة ولو كان المرض حليفه » اذاً من اهم واجبات المربين تربية العقول على هذه الخلة بقدر الامكان وتعليم الصغار ان يقابلوا دواعي الحزن بخواطر فائقة راضية فحكم الطبيعة لان الروح الفرحة ليس من شانها تخفيف الوجع فقط بل هي بلا شك تزيد قوة المواد المتحركة في الجسد .